فرحة العيد ناقصة!

محمد الرايقي

العيد مظهر من مظاهر السعادة، وسويعات من السرور نختطفها من الزمن من أجل أن نصنع لحظة فرح نعيشها، فنجد الجميع يسعى لأن يعيش هذه اللحظة ليزيل بها هم الشهور الماضية وكدر الأيام ومنغصاتها!

وأنا أحد أولئك ممن كانوا يعيشون فرحة العيد ببراءة الطفولة والتي أراها في مرافقة والدي لمصلى العيد ونحن في أجمل الملابس الجديدة الرخيصة الثمن والتي جملها في عيوننا قناعتنا بها واقتناعنا بأن الجمال جمال النفس وليس جمال الملبس، فتبدأ فرحة العيد عندي بمرافقته والسير معه والنظر إلى ملامح الناس الضاحكة ووجوههم المبتسمة.

عشت معه هذه الفرحة سنوات طويلة إلى أن ذبلت بمرضه الذي لم يمهله طويلًا فودّع الدنيا وسلّم روحه إلى باريها -يرحمه الله – فتغيّرت ملامح فرحتي بالعيد، فألم فقده أخذ مني بعضًا من معاني الفرح فغدت عندي فرحة العيد ناقصة!

ورغم مرارة الفقد إلا أنني كنت أجد ما يكمل فرحتي الناقصة في لمسة حانية من أمي التي تستقبلني بشوق وتحتضنني بلهفة فتعطيني معنىً مختلفًا للعيد عن غيره من المناسبات التي أحضرها، أو الاحتفالات التي أشارك بها، وأسلي نفسي وأصبرها بترديد مقولة: فقدت أبي ولكن بقيت لي أمي التي هي جنتي وحياتي وهي من يكمل فرحتي بالعيد، إلا أن الأقدار لا تجلب لنا دومًا ما نحب بل قد نرى فيها ما يكدر صفونا ويخفي فرحتنا!

فقد لحقت والدتي بوالدي – رحمهما الله – إلى الرفيق الأعلى فتجدد الحزن القديم وزاد أثره فأصبح في النفس ألم وفي الملامح حزن، ولم يعد للعيد في نفسي فرحة إلا من خلال تلك الابتسامات البريئة التي أراها على ملامح الصغار، فهل تلوموني لو قلت: فرحة العيد ناقصة؟!

محمد الرايقي